نشاط المديرية العامة في ترميم الأبنية الأثرية

للدكتور
سليم عادل عبد الحق

١ — اصلاح عدة أبنية في قلعة الحصن وتجديدها

لقد وضعت قلعة الحصن (قلعة الفرسان) تحت تصرف مديرية الآثار العامة خلال سنة ١٩٤٩ بعد مفاوضات طويلة جرت بين الحكومتين السورية والإفرنسية . وكان سرورنا شديداً لعودة ملكية هذا الأثر النفيس إلينا . بيد أن هذا السرور كان يشوبه شيء كثير من الألم للحالة السيئة التي وصل إليها . فقد أهملت العناية به منذ مدة طويلة وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية وفي السنوات التي تلتها مباشرة . فانهارت بعض أقسام منشآته ، وتفسخت جدرانها وهددت بالتداعي ، وعلتها الأعشاب الضارة والنباتات الجبلية التي جعلت تنفذ بجذورها خلال شقوق الأحجار ، وتوسع لنفسها أمكنة خلفها ، فتضغط عليها ، وتدفعها للانفصال عن جسم الأسوار والأبراج . حتى اكتسبت قلعة الحصن من كل ذلك منظر الأطلال المهملة أو غدت كما قال فيها أحد السائحين الغربيين وكراً متروكاً للنسور .

ولم يكن لدينا في العام ١٩٥٠ ، إلا اعتمادات ضيقة لترميم الأبنية الأثرية . فخصصنا قلعة الحصن بنصيب الأسد منها . وكلفنا السيد جورج قلمكاريان ، وهو أحد موظفي دائرة الهندسة في مديريتنا ، وخير من يعتمد عليه للقيام بأعباء ترميمات أثرية واسعة ، أن يسافر إلى قلعة الحصن ، وأن يضع المخططات اللازمة لإصلاح ما تهدم فيها . وبعد أن اتفقنا على تنفيذ الأعمال الضرورية منها . بدأت ورشة فنية كبيرة تعمل فيها خلال أربعة أشهر ، حتى نفد ما كان بيدنا من مال ، وحتى عادت الحياة الى القلعة ، ومسح عنها شيء كثير مما كان يعتريها من تشويه وإهمال . ولا شك أننا بحاجة إلى أن نعمل فيها خلال عدة مواسم أخرى حتى تتمكن

من إنقاذها تماماً . ولن نهمل هذا الواجب أبداً ، وستعود اليها ورشة فنية أخرى في صيف هذه السنة .

ويمكن أن نلخص أعمالنا فيها خلال العام ١٩٥٠ باصلاحات مهمة قمنا بها في جدران وأبراج سوريها الخارجي والداخلي ، وفي قطاع قاعتها الكبرى ، وفي عدة أماكن اخرى . ويمكن وصفها على الشكل الآتي :

إن سورها الخارجي من الجهة الشرقية ، شمالي مدخلها الرئيسي ، مبني من أحجار صغيرة لم يعن بنحتها ورصفها منذ زمن إنشاء هذا السور في القرن الثالث عشر . ويوجد في هذا القسم من السور صفان من المزاغل ، في كل منها سبعة . وتحت هذه المزاغل مداميك من الأحجار الصغيرة . وقد انهارت السفلية منها تحت ضغط السور العظيم ، ونشأت فيها تجاويف كبرى كان من اللازم سدها قبل أن ينهار السور كله . ولم يكن هذا العمل سهلاً . إذ أن العمال كانوا مضطرين أن يتسلقوا على سلالم تستند على لحف الجبل الصخري ، ويصعدوا مع أدواتهم والأحجار المنحوتة ومواد البناء حتى المواضع الواجب إصلاحها . وانتهى أخيراً هذا العمل وعادت للسور من هذه الجهة هيئته التي كانت له في الزمن السابق (الصورتان ١ و ٢) [١] .

وكذلك فإن داخل هذا السور الخارجي كان بحاجة الى إصلاح في عدة نقاط منه وكانت محاريب المزاغل في الجهة الشرقية التي كان يقف فيها رماة النبال متهدمة جداً . لأن سكان قرية الحصن القدماء الذين شغلوا القلعة مدة طويلة ، ولم يجلوا عنها إلا في سنة ١٩٢٥ ، قد جعلوا منها مرابط لدوابهم ، وسكن بعضهم فيها ، ووسعوا مساحاتها بأن نزعوا صفوفاً من أحجارها في الجانبين ، وهدموا عتباتها . فانصرف ممثلنا بجهد وعناء إلى إصلاح عقودها ، وترميم جدرانها ، وإعادة عتباتها الناقصة ، حتى عاد عدد كبير منها إلى ما كان عليه قديماً (الصور ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

ثم انصرفت جهودنا إلى إصلاح البرج (ج) [٢] في السور الداخلي ، من الجهة الجنوبية .

---

(١) انظر هاتين الصورتين وكل الصور الأخرى التي يرد ذكرها ، في هذا البحث ، في النص الافرنسي لهذا المقال في القسم الغربي من المجلة .

(٢) إننا نستعمل في تسميتنا لمنشآت قلعة الحصن ، نفس الأحرف التي استعملها السيد : M. Paul Deschamps في كتابه : Le Crac des Chevaliers ، طبع باريس في سنة ١٩٣٤ .

وكانت قد انهارت من واجهته الخارجية عدة مداميك من الأحجار المنحوتة ، وحدثت فيها ثغرتان واسعتان ، وتداعت أركانها ، فوجب إعادتها الى حالتها السابقة دون تاخير (الصورتان ٧ و ٨) . وكذلك فان البرج (و) من هذا السور الداخلي في الجهة الغربية ، كان بحالة سيئة للغاية ، فقد سقط قسم من واجهته المطلة على الباحة ، فادى هذا السقوط الى انهيار جزء من الدرج الواقع وراء الواجهة . فسارعنا إلى إعادة ما تهدم ، من الأحجار الساقطة نفسها ، دون ان ندخل بينها شيئًا من الأحجار المنحوتة الحديثة . لأننا وجدناها برمتها في محل سقوطها .

وبذلنا غاية جهودنا خاصة في قطاع القاعة الكبرى او قاعة الفرسان في وسط الباحة الداخلية . ولا يخفى أن هذه القاعة من اجمل أبنية قلعة الحصن . ويبلغ طولها ٢٧ متراً ، وعرضها ٧٫٥ أمتار . وتتصل من الأمام برواق يعد آية من آيات الفن الغوطي المشع ، في القرن الثالث عشر الميلادي . وكانت سقوف القاعة الكبرى المحمولة على اعصاب حجرية مرتكزة على دعائم قد تصدعت ، وحدثت فيها شقوق تنفذ مياه الأمطار منها ، وعلت الأعشاب الضارة الناشئة عن الرطوبة جدرانها ، وأكسبتها منظر الأقبية المهجورة . كما أن جوانب بابها ونوافذها قد تآكلت منذ مدة طويلة .

فبدأنا بتنظيف جدرانها وسقوفها ، ورأب صدوعها ، وتكحيلها بالاسمنت ، واستبدال الأحجار المفتتة فيها بأحجار جديدة ، ثم بسطنا على سطح روافها بلاطات جديدة على شاكلة بلاطاتها القديمة ، حتى نأمن من ترشح مياه الأمطار اليها ، وجددنا في هذا السطح مزاريب الماء لنمنع شره عنها (الصورتان ٩ و ١٠) .

ثم وجهنا عنايتنا إلى واجهة القاعة الكبرى ، فدعمنا جوانب بابها ونوافذها ، واستبدلنا أحجارها المؤتكلة والناقصة بأحجار جديدة ، نحتها عمالنا حسب رسوم هيأها السيد قلمكاريان على شاكلة القديمة . ثم نظفنا واجهة الرواق الخارجية ، ونزعنا عنها الأعشاب الضارة ، وجعلنا وراء أسكفات نوافذها جسوراً مخفية من الاسمنت والحديد لتقويتها ، وسكبنا المونة والاسمنت في شقوقها . ويؤسفنا أننا على الرغم من هذه الجهود لم نستكمل بعد في هذا الرواق وفي القاعة الكبرى كل ما يجب القيام به من أعمال الاصلاح (الصورتان ١١ و ١٢) .

واخيراً فإننا اهتممنا بإعادة إنشاء درج كبير واقع أمام رواق القاعة الكبرى ، ويؤدي إلى الباحة العلوية . وكان قد تهدم ، على أثر انهيار جزء من برج يقع فوقه ، وتحطمت القنطرتان اللتان كانتا تحملان درجاته . فعملنا جهدنا حتى أعدنا هذه الدرجات كما كانت قديماً (الصورتان ١٣ و ١٤) .

٢ – اصلاح باب العمارة وتجريده

باب العمارة أو باب الفراديس هو أحد أبواب دمشق من جهة السور الشمالية . وقد بناه كما تدل كتابة نسخية (زالت حروف متعددة من كلماتها) الملك الصالح اسماعيل في السنة (٦٣٩) هجرية [١] . وهذا الباب مزدوج ، ولم يبق من قسمه الداخلي إلا قوس ، ومن قسمه الخارجي إلا طرفاه وأسفل واجهته حيث تبدو ركائز شراريفها القديمة وأسكفتها التي تتألف من عمود حجري روماني سويت إحدى وجهاته ، ونقشت عليها الكتابة المتقدمة ، وقد تكاكأت على هذا الباب الأبنية القديمة من طرفيه ، وعلته غرف بيت من لبن ، وركزت عليه حوامل أسلاك الكهرباء والهاتف . مما جعله في حالة زرية .

وما كان بالامكان القيام باصلاحه وترميمه ، إلا إذا عزل عما يحيط به من دكاكين وبيوت . وكان أن استملكت محافظة المدينة في السنة ١٩٥٠ دكانين في جانبه والبيت الواقع فوقه ، فسهل على مديرية الآثار العامة المبادرة لاصلاحه . وقد كلفنا بهذا العمل مساعدنا الفني السيد نظمي خير [٢] ، فاتخذ لاصلاحه مشروعاً وافقت المديرية عليه ، وبدأ العمل فيه في ربيع هذه السنة واستمر إلى خريفها ، وقد دعت الضرورة إلى تفكيك أحجاره والاحتفاظ بالسليم منها ، والاستعاضة عن الأحجار المفتتة البالية بأخرى جديدة نحتت على شاكلتها . وإليكم وصف هذه الاصلاحات باختصار :

١) لقد جددت أحجار جزء السور الواقع في الجهة اليسرى .

٢) كما جدد طرفا الباب ، بعد أن أدخل اليهما عدد من الأحجار الجديدة المنحوتة على هيئة الأحجار القديمة .

٣) وكذلك استدعت متابعة العمل تجديد العقد خلف الأسكفة .

٤) فرش ظهر الباب بطبقة من الاسمنت لحفظه من ترشح ماء المطر .

٥) أعيد تركيب الواجهة الخارجية كما كانت عليه سابقاً ، وكحلت مع بقية جزء السور بالاسمنت . ومما يجدر ذكره هنا ، أن ترميم الأسكفة كان صعباً جداً . إذ انها وجدت مكسورة

---

(١) سننشر في العدد القادم مقالاً حول هذه الكتابة للسيد حسان البيطار أمين مكتبة مديرية الآثار العامة .

(٢) ونحن نجمل فيما يلي وصف الاصلاحات التي أجراها وضمنها تقريراً رفعه إلى المديرية .

إلى أربع قطع وكانت تتفتت تحت تأثير اللمس فقط ، وذلك لأنها أصيبت بحريق قديم . ولم نر ما يستدعي استبدالها بحجر جديد . إذ أنه من اللازم المحافظة على الكتابة التاريخية المنقوشة عليها . لهذا فان السيد نظمي خير لجأ إلى طريقة دقيقة في معالجتها ، وذلك أنه جعل في وجهها حول الكتابة نحو مائة ثقب تنفذ من سطحها المتفتت إلى جوفها الذي بقي سليماً وصلباً ، ثم أقام في هذه النقوش قطعاً حديدية مبرومة ، قطر كل منها خمسة ميلميترات . وأخيراً صب حول القطع الحديدية الاسمنت ، ونظف سطحها من التراب ، ووضع في أفواه الثقوب معجونة من الاسمنت المستحضر ضمن مواسير خاصة .

وبعد أن جمعت قطع الأسكفة الأربعة إلى بعضها بتشبيكها بالأشرطة الحديدية التي نفذت في وجهها الخلفي والسفلي إلى ما يزيد على ١٧ سنتيمتراً ، وصبها بالاسمنت ، أكملت أجزاؤها الناقصة ، ورفعت إلى مكانها القديم فوق الباب . ولا ريب أن هذه الطريقة المبتكرة كانت السبب في حفظ الميزات التاريخية والفنية لباب العمارة الذي اكتسب بعد منظره الذري القديم ، مظهراً قريباً جداً من مظهره في العصر الأيوبي . وسوف نتابع إصلاحنا فيه فنعيد العقد المهدوم من الحجر المنحوت بدلاً من السقف الخشبي الداخلي الحالي ، ونرمم قوسه الجنوبي ونكمل ما زال من الشراريف في الواجهة الخارجية . وذلك بعد أن يتم استملاك بقية العقارات حوله ، وبعد أن نتفرغ مما نهتم به حالياً من إصلاحات مستعجلة في أبنية أثرية أخرى .

٣ — اصلاح الواجهة الغربية لتربة الملك الظاهر بدمشق

كنا نراقب خلال السنوات الأخيرة الواجهة الغربية لتربة الملك الظاهر ، ونهتم كل الاهتمام بما يظهر عليها من شقوق طولانية وعرضانية . حتى اتضحت هذه الشقوق وتركزت في طرفها الشرقي وحول مقرنصات بابها المرتفع ، فعزمنا على فكها وإصلاحها ، دون أن نعتبر انها أصلحت سابقاً حول السنة ١٩٣٠ .

وقد ساعدنا المجمع العلمي العربي على القيام بهذا الاصلاح إذ أنه خصص له في موازنة السنة ١٩٥٠ مبلغاً كافياً . مما أفسح مجال العمل أمامنا ، وكلفنا به المساعد الفني نظمي خير ، الذي انصرف إليه خلال ربيع ذلك العام وصيفه وجزء من خريفه ، حتى أتمه على أكمل وجه . ويمكننا أن نلخص ما أجراه هذا الفني النشيط فيه من أعمال بما يلي :

١) فك جميع أجزاء القسم العلوي من مقرنصات ، والمداميك العلوية للقسم الشرقي من الواجهة .

٢) اعادة إنشاء هذا القسم من الواجهة بعد أن حذفت نافذة صغيرة محدثة في زمن متأخر عن تاريخ البناء . وقد استعملت في تشييد هذه الجهة أحجار من نوع الأحجار الأصلية

٣) صنع طبقة من الاسمنت المسلح خلف أعلى الباب . لتستند عليها أحجار المقرنصات التي نظفت ، وجدد بعضها في الطرف الأعلى ، حول شعاعاتها الرأسية .

٤) تجديد أحجار الكورنيش ، والقوس العلوية التي كانت أحجاها القديمة غير صالحة لتفتتها.

وهكذا تمكنا من إنقاذ هذه الواجهة الثمينة التي تعد من أجمل الآثار الدمشقية . ونامل أن تساعدنا الامكانيات في السنوات المقبلة لننفذ ما تحتاجه تربة الملك الظاهر من إصلاحات أخرى لا سيما في القسم السفلي من هذه الواجهة وفي الواجهة ، الجنوبية ، وفي مدخل قاعة الضريح ، والفسيفساء والزخارف المرمرية والجصية في داخلها .

سليم عادل عبد الحق

٤ – ترميمات قاعة العرش في قلعة حلب

للأستاذ فيصل الصيرفي

محافظ متحف حلب

لفتت أنظار القائمين على العناية بآثار حلب الشقوق التي ظهرت في جدار القلعة فوق باب الحيات منذ سنة ١٩٥٠ وبعد التحقيق تبينت خطورة الجدار وضرورة فكه وإعادة بنائه من جديد . ولقد لوحظ أن قسماً من هذه الشقوق حدث منذ زمن بعيد ، وأن ذلك قد تأتى عن ضغط البناء فوق أسسه . ونظراً لاستمرار هذا الضغط فان التشقق ازداد وأصبح واضحاً للناظر ، في لصاقات بعض الأحجار ، وفي تكسر بعضها الآخر . وفي الواقع لم يكن هذا الضغط ليسبب خطراً على الجدار وحده ، حيث ظهرت الشقوق ، بل على واجهة قاعة العرش أيضاً المشرفة على مدخل القلعة والتي يرتكز قسم منها على الجدار المتشقق ويرتكز القسم الآخر على قوس مستندة الى الجدار نفسه وقد تشقق منتصفها أيضاً .

أما واجهة قاعة العرش فقد تبين أنها تميل ميلا واضحا بمعدل ٤٥ س ٠ م لكل ارتفاع عشرة أمتار ، وأن أي هبوط في وضع الجدار الأساسي المتشقق سوف يزيد حتما في خروج محور توازن الواجهة عن منطقه الأمان ، وهي الحد الأقصى المانع لحدوث خطر الانهيار . وهذا سيؤدي بالتالي الى انهيار الواجهة المذكورة فجاة وفي أية لحظة كانت .

لهذا فقد أعلمت مديرية الآثار العامة بالأمر لتخصيص الاعتمادات اللازمة لدرء الخطر الداهم الذي يهدد الواجهة . وفي الوقت ذاته وُجه الى رئيس البلدية كتاب طلبت فيه إعانة مالية للمباشرة بالعمل . فاهتمت المديرية العامة بهذا الطلب ورغم ضآلة اعتماداتها في ذلك العام فقد تمكنت من تخصيص مبلغ ٥ آلاف ليرة سورية لفك الواجهة وإيقاف الضغط عند حده . ثم اتبعتها بتسعة آلاف أخرى خصصتها في العام الذي يليه .

أما بلدية حلب فقد أظهرت اهتماماً كلياً بطلبنا وأوفدت مهندسيها لاجراء الكشف . فأجمعوا على خطورة الجدار . وقرر المجلس البلدي اثر ذلك تخصيص عشرة آلاف ليرة سورية لتصرف في هذا السبيل .

بوشر بالعمل فكلف المساعد الفني السيد آغوب كيريشيان بالاشراف عليه فقام به بمهارة يحمد عليها . إذ أنه فك الجدار سوقة بعد سوقة وكانت جميع الأحجار ترقم وتصف بالترتيب في باحة القاعة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أنه ظهرت اثناء فك الجدار عدة رؤوس سهام حديدية بين الأحجار في السوقات العالية . مما يدل على ان المحاصرين خارج القلعة كانوا يحاولون ضرب المدافعين الذين اتخذوا مراكزهم وراء مشربيات تحيط بسطح قاعة العرش كانوا يرمون منها السهام والقذائف على العدو .

وقد بلغ ارتفاع القسم المفكوك من هذه الواجهة ١٢ متراً ، في حين أن طول هذا القسم يبلغ ٢٥ متراً .

وقد جرى تدعيم قنطرة المدخل التي كانت ترتكز عليها هذه الواجهة ، فرفعت أحجار ظهر القنطرة وصبت روبة من الاسمنت ، فتشربت بذلك جميع الأحجار المتفككة ، وتماسكت أجزاؤها . ثم وضع زنار من الاسمنت المسلح بطول ٢٥ متر ، وعرض ١٫٥ متر ، وعلو ٠٫٨٠ متر ، وشبك مع القضبان الحديدية التي وضعتها دائرة الهندسة العسكرية سابقاً على ما يظن منذ عام

١٩٢٥ حيث أجريت بعض التدعيمات الموقتة غير الكافية . وهذه القضبان كانت قد وصفت تحت أرض القاعة المفروشة بالاسمنت .

ثم بدئ باعادة بناء الجدار بكل دقة واعتناء ، وجددت بعض الاحجار التي لا يمكن إعادتها . وقد بلغ ارتفاع الجدار المتجدد مترين فقط ، حتى نهاية العام الماضي ١٩٥١ .

ثم اضطررنا الى توقيف الأعمال ريثما تصدق الموازنة الجديدة ، وتخصص الاعتمادات اللازمة . ويؤمل أن تستأنف أعمال الترميم في القريب العاجل(١) .

ومن المفيد أن نذكر بهذه المناسبة أننا عدا عن إعادة بناء الواجهة كما كانت عليه سوف نعمد إلى تدعيم أساسات الجدار بعد الكشف عليها . وسوف ندرس أوضاع مجاري مياه المطر المنحدرة من الطريق الرئيسية في القلعة ومن قاعة العرش وإصلاح ماتخرب منها . إذ من المحتمل جداً ان تكون هذه المياه قد وجدت طريقها إلى اساسات الجدار التي رغما عن كونها ترتكز على ارض صلبة ، فإنها تأثرت الى حد ما بهذه المياه واخذت تهبط تدرجيا ، ويهبط من فوقها الجدار نفسه ، مما ادى إلى هذا التشقق الملحوظ ، وإلى ميل جدار واجهة قاعة العرش ميلاً هدد بالانهيار المحقق لولا ان تؤخذ الاحتياطات اللازمة السريعة .

ويجدر بنا أيضاً أن نسجل بهذه المناسبة شكرنا الجزيل للمساعدات المالية التي قدمتها الينا بلدية حلب والتي ساعدت كثيراً في تدعيم أجمل أثر في حلب يقصده السواح من كل بلد وقطر ولا شك أن الحلبيين كافة يقدرون هذه المساعدة من البلدية لبناء يعتزون به ويفاخرون بعظمته .

ونقوم الآن ببعض الدراسات العلمية عن هذه القاعة وعن بقية اقسام القلعة ، ونأمل ان ننشرها تباعاً في الأعداد المقبلة من هذه المجلة .

فيصل الصيرفي

---

(١) ان العمل في قاعة العرش قد عاد منذ أول هذه السنة ، ونأمل أن ننتهي من أعمال ترميمها في هذا العام (المديرية العامة) .